مجلّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

الجانب الإصلاحي والدعوي عند الشيخ عاشور (خصوصية تجربته التربوية الإصلاحية)

تاريخ تقديم البحث:- ٢٠٢٥/٨/١٠
تاريخ قبول البحث:- ٢٠٢٥/٩/٣

أ. سرية بنت جمعة بن حارب السيابية (*)
محمد بن خميس بن سالم الشبلي (**)

المستخلص:

تضع بعض الشخصيات التي تمر على هذا الكون بصمات يبقى أثرها ما بقيت البشرية، وتكون مثالا يحتذى بها، ومن هذه الشخصيات الشيخ عاشور بن يوسف كسكاس موضوع دراستنا، ولعل جهل البعض بهذه الشخصية هو الذي حدا بالباحثين التطرق لها والكشف عن مساراته الدعوية وكيف اسهمت في اثراء تاريخ الدعوة من حقائق، ان عدم المعرفة بحياة الشيخ عاشور دعت العلماء الى البحث والتقصي فجاءت الإشكالية: ما المراحل العلمية التي تدرج فيها الشيخ في مراحل حياته؟ وما النتاج العلمي الذي تركه وبحث فيه العلماء لتقصي الحقائق العلمية؟ أما هدف البحث هو: تقصي المسار التربوي والدعوي لدى الشيخ عاشور وفق منطلقاته وغاياته، والتعريف بحقائقه الدعوية، أما منهج البحث: تم اعتماد المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والاستقرائي، وخرجت بالعديد من النتائج من أبرزها تأكيد أهمية هذه الشخصية ومدى تأثيره على البيئة التي عاشها وكل من تلمذ على يديه. (الكلمات المفتاحية: عاشور، عمان، تونس، تعليم، نتاج علمي)

المقدمة:

إن التجارب الدعوية بوصفها روافد مغذية في ميدان الإصلاح والتربية والدعوة إلى الله عز وجل تعد كنزا ثمينا يجب الاعتناء به وسبر غوره لدى كل صاحب مشروع دعوي أو نهضة إصلاحية، كما تجدر الإشارة إلى أهمية الاحتكام إلى المحددات الزمانية والمكانية وكذلك الأحداث التاريخية في تقييم هذه التجارب والحكم عليها للاستفادة القصوى من مثل هذه المشاريع

(*) باحثة بسلك الدكتوراه في جامعة محمد الخامس الرباط المملكة المغربية
Sariyaalsiyabi8@gmail.com
(**) معلم جغرافيا في مدرسه الاحنف بن قيس الإعدادية للبنين الدوحة – قطر
m.alshibli2112@education.qa

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

التربوية الإصلاحية.

وكما يبدو أن من المهم تدوين التجارب الدعوية الناجحة واشاعتها فانه كذلك يجب عليه ملاحظة التجارب الدعوية الفاشلة ودراستها لمعرفة روافد الفشل وعوامل التقصير التي أدت بها إلى هذه النتائج!! فكما يستفاد من النجاح فالأولى أن يستفاد من الفشل بأقصى وجه! وعليه فإن من المهم أن يقف البحث على حد ما يوصف بالتجربة الدعوية التي ينطلق منها الباحث في دراسة وتقييم التجربة الدعوية للشخصية موضوع البحث.

ويمكن أن نبني هذه الدراسة لتجربة الشيخ عاشور الدعوية انطلاقا من التعريف الذي تبناه البحث وهو أن المقصود بالتجربة الدعوية هو" ما يكتسب في ميدان الدعوة الى الله من خبرات على مستوى الأفراد أو المؤسسات وينعكس بتأمله والاستفادة منه تطورا وارتقاء في العمل الدعوي". (هلال ،٢٠٢٠، ص١١)

-إشكالية البحث: عدم المعرفة بحياة الشيخ عاشور دعت العلماء الى البحث والتقصي فجاءت الإشكالية: ما المراحل العلمية التي تدرج فيها الشيخ في مراحل حياته؟ وما النتاج العلمي الذي تركه وبحث فيه العلماء لتقصي الحقائق العلمية؟

- هدف البحث: هو تقصي المسار التربوي والدعوي لدى الشيخ عاشور وفق منطلقاته وغاياته والتعريف بحقائقه الدعوية.

- منهج البحث: تم اعتماد المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي.

المطلب الأول: المسار التربوي والدعوي لدى الشيخ عاشور وفق منطلقاته وغاياته.

١. دور الشيخ عاشور في الدعوة:

يؤدي الشيخ عاشور دورًا هامًا ومحوريًا في نشر وتعزيز الدعوة الإسلامية. لا سيما في سلطنة عمان وتونس وفرنسا، حيث عمل الشيخ عاشور على توجيه الناس نحو المعرفة الصحيحة للإسلام وتعليمهم قيمه ومبادئه. وقد قام الشيخ عاشور بالعديد من الأنشطة الدعوية والتربوية لنشر معارف الدين الإسلامي وتعزيز الروحانية بين الناس. حيث يعد الشيخ عاشور قدوة لكثير من المسلمين في دعوتهم إلى الله وتوجيههم نحو الحقيقة والطريق الصحيح.

إن ما يمكن أن يتصور في داعية ناجح ومصلح فذ هو أن يحمل هم الفضيلة كيف يؤسس لها ويرسخ لها في نفوس مريديه ومتبعيه لا سيما أن يكون من المصلحين الدينيين في الإسلام، إذ الأمة جميعها مأمورة بأن تكون داعية على بصيرة منطلقة إلى البناء والعمارة في الأرض انطلاقا من قانون الاقتداء الذي أسس له القرآن الكريم في قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ". (آل عمران:١١٠)

فالإيمان قرين الفضيلة والفضيلة تتأتى حين ينزوي دعاة الرذيلة و «ليست الأمة الإسلامية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

جماعة من الناس همّها أن تعيش بأيّ أسلوب، أو تخطّ طريقها في الحياة إلى أيّ وجهة، وما دامت تجد القوت واللذة فقد أراحت واستراحت. كلا كلا، فالمسلمون أصحاب عقيدة تحدّد صلتهم بالله، وتوضّح نظرتهم إلى الحياة، وتنظّم شؤونهم في الداخل على أنحاء خاصة، وتسوق صلاتهم بالخارج إلى غايات معينة.

وفرق بين امرئ يقول لك: همّي في الدنيا أن أحيا فحسب! وآخر يقول لك: "إذا لم أحرس الشّرف، وأصن الحقوق، وأرض لله، وأغضب من أجله، فلا سعت بي قدم، ولا طرفت لي عين ..." (الغزالي،١٩٩٧، ص٧٨) ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نفهم ما كرس الشيخ عاشور نفسه لأجله، وهو القيام بحق الدعوة، والانطلاق في رحاب الأرض داعيا إلى الله مصلحا لخلقه، من تونس إلى عُمان، إلى فرنسا، مذللا لدعوته كل سبل الدعوة والأدوات الحديثة من التكنولوجيا وغيرها في سبيل إيصال الحق وتأسيس جيل يكون امتدادا لما حمله من علم، وما استلهمه من دعوة على بصيرة إلى الله تعالى.

وقد كان بمقدور الشيخ عاشور أن يكتفي بما وصل إليه من درجة علمية، ومن المكانة المجتمعية التي أحرزها بسلطنة عُمان ويكتفي كبقية العاملين المغتربين إلى بلاد الخليج، بما نالوه من رتب علمية أو حصلوه من حصيلة مالية، ثم يعود أدراجه بين صفحات التاريخ خامل الذكر، وهو الذي قاسى ولاقى من صروف الدهر ما يعذر به إلى الله، ولكن النفوس النجيبة ذات المعادن النفيسة تأبى أن تمر بين جنبات الحياة إلا وتسطر سطورا وتخط رقوما من الخير والعلم ما يشهد به الزمان لهم ويفخر بهم على أقرانهم.

٢. تطور التجربة الدعوية للشيخ عاشور

تشهد تجربة الدعوة للشيخ عاشور تطورًا ملحوظًا على مر الزمن. في البداية، بدأ الشيخ عاشور رحلته الدعوية منذ سنوات عديدة، حيث بدأت تأثيراته المبكرة. منذ أن كان معلما بتونس يعلم الشباب والفتيات مادة التربية الإسلامية. حيث قام الشيخ باتخاذ العديد من الخطوات الرئيسية في تطور تجربته الدعوية، ولعل أهمها على الإطلاق تحديد فلسفته في الدعوة إلى الله واختياره نمطا وسطا يجمع بين الأصالة والمعاصرة بين النص ومعالجة الواقع يحافظ على القيم والمبادئ ولا يشق على الناس، ثم مراعاة أنه قدوة لمن يصاحبه أو يدعوه، وصولا إلى تأسيس الجمعية الخيرية وتنظيم العديد من البرامج والأنشطة الدعوية في جزيرة جربة بدولة تونس والجمعية الجربية بفرنسا (قوجة، ص ٥)

ولم يكن هذا الطريق الذي خطه الشيخ عاشور بالطريق المذلل السهل، بل كان صعب المرتقى وعزيز المنال، فقد واجه العديد من التحديات في مسيرته الدعوية، لكنه تمكن من تحقيق نجاحات مذهلة. حققت تجربته الدعوية تأثيرًا إيجابيًا على الأفراد والمجتمع بشكل عام. ويمكننا في النقاط الأتية أن نقف على أبرز ملامح هذه التجربة والتي يمكن أن نبرزها في الفروع الآتية:

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

١. تأسيس المفاهيم وتحديد الإطار:

لقد شمر الشيخ عاشور للعمل الدعوي إلى جانب التدريس ليسطر تجربة دعوية فريدة ترتبط بذاته في لحمتها وسداها وذلك لما يحمله في باطن نفسه من نور أبى إلا أن يشرق على من حوله متمتعا بالصدق والقبول، ولا غرو فإنّ أضواء الباطن تنضح على الوجه، فتقرأ في أساريره آيات الطّهر. ويمكننا في هذه الصفحات أن نقف على القناعات الدعوية التي شكلت ملامح المنهج الدعوي وخطت تصوراته في ذهن الشيخ عاشور لنتعرف من خلالها على هذه التجربة ونستطيع تقييمها والإفادة منها، ولرصد القناعات والانطلاقات الدعوية لدى الشيخ عاشور يمكن أن نبرزها في النقاط الآتية مجملة:

١- لن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

٢- الاقتران بين العبادة والعمارة.

٣- التجديد قرين الإنسان الحي. (الكندي ٢٠٢٤،)

هذه جملة القواعد التي انطلق منها الشيخ عاشور تعد بمنزلة الإطار الحاكم لرؤية الشيخ في خوضه التجربة الدعوية على اختلاف مواطنها ومواقفها، وهب من أجل القيم والمبادئ التي يمكن أن يعتنقها داعية أو فقيه أو مربي وهي كفيلة بأن تؤسس جيلا نهضويا من خلال هذا الإطار حال توظيفه توظيفا شموليا إذ إنها تعد نسقا تربويا متكاملا، ويمكن للباحث هنا أن يلقي الضوء على هذه المبادئ الممثلة للإطار أو النسق الدعوي الشامل.

المنطلق الأول: لن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

ملاك الأمر في الدعوة إلى الله يقوم على التيسير ولا غرو في ذلك بعد قول النبي (ص): " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ". (صحيح البخاري) وقد تضافرت الأدلة وتواترت النقول على قيام هذا الدين على التيسير وإن التشدد والتنطع إنما هما منفران وعاملان من عوامل القضاء على الإيمان الحقيقي المزاحم لشغاف القلوب، يقول الله تعالى منبها المؤمنين" وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ". (الحج: ٨٧) وقال كذلك: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ". (البقرة: ١٥٨) ومن هنا قرر الفقهاء في كتبهم المؤصلة لقواعد الفهم قاعدة من القواعد الخمس الكبرى: المشقة تجلب التيسير.

ومن قوله (ص): "إن الدين يسر، لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة". (صحيح البخاري)

والداعية الحقيقي هو الذي يستوعب هذه المعاني العميقة في دعوته ومنهجه، وكلما أحسن التمثل لها، وطبقها في رحلته الدعوية كلما كان ذلك أوقع إلى التأثير في حياة ووجدان تلامذته أو طلابه، وهذا ما نجده عند الشيخ عاشور في دعوته مما يدل على تشربه لمقاصد الشريعة ومنهاج الدعوة على بصيرة، ومن المواقف التي

مجلَّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

تبين ذلك ما ذكره في مذكراته إذ يقول: "كنت دوما أتجنب الخطاب المتطرف ولا أحبذ التشدد، كما كنت لا أحب الخطاب العاطفي. منهجي الطريق الوسطي القائم على الفهم والاقناع.. أرفض الشحن العاطفي الذي يثير العواطف دون تغيير فكر". (مخطوط، ص٩٠)

العقل بدون فقه قلبي، وفطرة إيمانية، وغايات كريمة ربانية، يصبح آلة ضارة ومشؤومة. ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته، وينغمس في اللهو إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله الذي يحمله آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة". (المصدر السابق، ص٨٥)

هذه الرسائل التي بثها الشيخ عاشور مضمنة في مذكراته لا تتضمن فقط مبدأه الذي يعتقده في الدعوة والتربية، وما تحمل في طياتها فلسفة عميقة عن المبدأ نفسه وكذلك الإدراك للآثار الناجمة عن مخالفة مثل هذا المبدأ فتراه يفصح إفصاحا عن بغضه الشديد للتطرف وكراهيته له ولأن الخطاب المتشدد دوما يكون خطابا عقليا مبنيا على مقدمات فاسدة أو تصورات واهية فإنه يجلب على صاحبه ويلات في حياته ولا ينقذه من براثن الفساد والإفساد، وهو يصوغ ذلك في عبارة رقيقة العقل بدون فقه قلبي ..يصبح آلة ضارة ومشؤومة، ويمثل ذلك من خلال إدراكه للواقع بهروب الفاسق من إزعاجات العقل الذي يضجر صاحبه بتسلطه عليه وإغراقه في أحزان الماضي، كما يخيفه ويقلقه من تبعات وعواقب المستقبل.

ثم لا يفوت الشيخ عاشور أن يبرز عن طويته في رفضه أيضا الخطاب المائع منزوع الصلاحية الذي يدغدغ المشاعر ويقعد بالناس عن العمل والاجتهاد والسعي والبناء.. أرفض الشحن العاطفي الذي يثير العواطف دون تغيير فكر. (المصدر نفسه) ويمكننا من هذا أن نستبين التوازن الذي تمتع به الشيخ عاشور في فكره ودعوته من اتخاذ الاعتدال والتوازن في كل جوانب الحياة فلا إفراط ولا تفريط، فالتوازن والاعتدال في العمل لكل من الحياتين الدنيا والآخرة مطلب أساس في التربية الإسلامية. نستبين هذا من قوله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا". (القصص: ٧٧)

وقد ضرب الرسول (ص) مثلا للاعتدال في العمل للحياتين الدنيا والآخرة، عن أنس بن مالك قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ص) يسألون عن عبادة النبي (ص) فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي صلى (ص)؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله (ص) فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ وأما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني". (صحيح البخاري)

وهكذا الاعتدال في فهم الدين واعتناق الدعوة ينعكس تربويا تعمل في ترسيخ كل من الحياتين الدنيا والآخرة في وجدان المسلم، وأن

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

يجعل لكل منهما نصيبًا مفروضًا في عمله في الحياة الدنيا، وأن يحافظ على التوازن بينهما، فلا ينبغي أن تستقطبه الحياة الدنيا بما فيها من ملذات وشهوات وإغراءات، فتجرفه إلى مخالفة منهج الله تعالى. كما لا ينبغي أن يستولي عليه العمل للآخرة فيعطي وقته للآخرة فيعطي وقته كله أو جله للعبادة على حساب السعي في مناكب الأرض، وطلب الرزق والعمل على إصلاح أحوال المسلمين، والتمتع بما أحل الله له وهذه القاعدة وتطبيقاتها في المسيرة الدعوية للشيخ عاشور بادية متأصلة من خلال كتاباته ودعوته في صورها المختلفة فنجده مثلا في مذكراته ينطلق من هذا الأساس الرصين حيث يقول: "حينما سافرت إلى فرنسا: بدأت أبحث عن عمل، عُرضت عليَّ بعض الأعمال فرفضتها. نادل في المطاعم لغسل الصحون وتنظيف المكان وتوزيع الوجبات. المطاعم في باريس الحرام فيها أكثر من الحلال، بل ولعلك لا تجد الحلال في تلك الحقبة من الزمن. هذا يتنافى مع قناعاتي العقدية والتزاماتي الأخلاقية. بقيت أقل من أسبوع بلا عمل مصمما على عدم قبول أي عمل، إما عمل كريم أو العودة إلى تونس. في أقل من أسبوع يسر الله لي العمل في مستشفى للعيون في باريس". (عاشور،٢٠٠٨، ص ٥٢)

هذا الإدراك العميق لقواعد الشرع الإسلامي مع التمسك به في التطبيق العملي كانا كفيلين بصياغة شخصية فذة تلتحم بالواقع وتتفاعل معه مع الاستمساك المتناهي بأصول الشرع وعدم التمايل أو التمايع في أخذ النفس بأحكام الشرع وتعاليمه تحت وطأة الحاجة أو الاضطرار، كما يروق لكثير من أبناء المسلمين، فيعدون الاستمساك بالدين فيما لا خلاف عليه أمر من التشدد أو التنطع البغيض كرفض المسلم لأمور محرمة في الدين بديهة كالعمل في بيع الخمور أو صناعة لحوم الخنزير أو غير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وعند الوقوع في ذلك يتلمس لنفسه الأعذار والمبررات، وهنا تأتي عقيدة الإنسان موجهة له ، فمن تربى على التفرقة بين الحق والباطل والحلال والحرام، يعسر أن تستميله الضرورات والميول النفسية، أو الانخداع بأقوال التيسير واللين والتساهل في أمور الدين، وهذا ينم عن شخصية صلبة تقبع في أعماق الشيخ عاشور من صغره، كذلك تنم عن وعي رشيد للفرق بين مواطن التيسير ومواطن إضاعة الدين والانفلات من أحكامه.

المنطلق الثاني: الاقتران بين العمارة والعبادة

يشيع في أروقة العلم والمتخصصين أن المصطلح الواحد قد يُستعمل بدلالات مختلفة، وقد شاع استعمال عمارة الأرض في ميدان الدعوة بعدة استعمالات؛ ولكي نقف على مدلوله وكيف وظفه الشيخ عاشور في ميدان دعوته ومنهاج تربيته نمحص هذا المصطلح لغة واصطلاحا لنستبين الوقوف عليه بدقة.

أولًا: اللغةً:

مشتق من مادة: (عَمَرَ): كما يقول صاحب

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

-مقاييس اللغة- "العين والميم والراء: أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على بقاءٍ وامتدادِ زمانٍ، والآخرُ على شيء يعلو، من صوت أو غيره. فالأول: العُمْرُ وهو الحياة، وهو العَمْر أيضًا... ويقال: عَمِرَ الناس: طالت أعمارهم. (ابن فارس، ١٩٧٩، ص٧٥).

ثانيًا: الاصطلاح:

تباينت استعمالات المتخصصين لمصطلح العمارة بين ممدوح ومذموم وذلك وفقا لأغراضهم في استعمال المصطلح وما يرمي إليه، ويمكن أن نلخص ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: عمارة الأرض بمعنى العمل وتحقيق المنافع ومصالح العباد في معايشهم عن طريق الزراعة والصناعة والبناء ولعل أول من استعمل ذلك من أهل التخصص الجصَّاص الحنفي المتوفى سنة (٣٧٠هـ) في كتابه "أحكام القرآن" قال تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا". (سورة هود: ٦١)

فعمارة الأرض بهذا المعنى، وكذلك صنع كثيرٌ من العلماء؛ وهو استعمال صحيح، لا إشكال فيه.

ثانيًا: عمارة الأرض بما يرادف المصطلح الفقهي: "إحياء الموات"، أي زراعتها واستصلاحها والسكنى فيها، وهذا المعنى قريبٌ من الاستعمال الأول، ومنه قول الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره "عمارة الأرض الخربة تسمى: إحياء الموات". وقال ابن عاشور في تفسيره خلال كتابه التحرير والتنوير: "ومعنى عمارة الأرض: جعلها عامرة غير خلاء وذلك بالبناء والغرس والزرع". (عاشور، ١٩٩٦، ص١٦٧)

ثالثًا: عمارة الأرض بالمعنى الغالب على الحياة الغربية، بل هو من أهم خصائصها وصفاتها، والحاكم لاهتماماتها وأولياتها. والظاهر من حركتهم في الحياة من التوسع في الصناعات، ووسائل الخدمات، وأدوات الراحة والرفاهية. بحيث يكون التسابق في المكاسب المادية، والنهضة العمرانية، والتطور في مجال المخترعات الحديثة، وقد قال رسول الله (ص): "ما الفقرَ أخشَى عليكم، ولكنّي أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم" (رواه مسلم والبخاري)

رابعًا: عمارة الأرض بمعنى وجود المخلوق الحيّ فيها؛ فالله تعالى عمَّر السماوات العُلى بوجود الملائكة، وعمَّر الأرض بوجود الإنس والجنّ، يستفاد هذا من استعمال النَّيسابوري المتوفى بعد (سنة ٥٥٠هـ) في «إيجاز البيان عن معاني القرآن» في قوله تعالى: «وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا». (هود:٦١): أي «جعلكم عمَّارها، فيدل على أن الله يريد عمارة الأرض لا التبتُّل». يعني: لأن في التبتل قطع النَّسْل، مما يؤدي إلى فناء النوع الإنساني.

خامسًا: عمارة الأرض بمعنى عبادة الله تعالى، وطاعة أمره، واتباع شرعه، وإقامة دينه.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

وقد قصد هذا المعنى من فسَّر جعل الله تعالى آدمَ خليفةً في الأرض بأنها خلافة عن الله تعالى. قال البيضاويُّ (ت: ٦٨٥) في تفسير آية البقرة « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (البقرة:٣٠): «والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم». وقال أبو حيَّان الأندلسي (ت: ٧٤٥) في تفسير هذه الآية أيضًا: «وفي المستخْلَفِ فيه آدمُ قولان: أحدهما: الحكم بالحق والعدل. الثاني: عمارة الأرض، يزرع ويحصد ويبني ويجري الأنهار».

أما في استعمال الفلاسفة والمفكرين المعاصرين فإن هذا المعنى غير مراد إطلاقًا، أو غير مرادٍ ابتداءً وأصالةً. وهو المفهوم الغربيُّ الماديُّ، ويقصدون بذلك أن التطور الماديّ، والنهضة العمرانية، والطفرة الصناعية؛ هي المقصد والغاية من النشاط البشري، وهي المعيار لتطور الإنسان والمجتمع والدولة، وتقدمها في مراتب التمدن والتحضر. وهذا هو الاستعمال المذموم مطلقًا، وهو (التفسير السياسي للإسلام)، ويلتقي في حقيقته. بعقيدة غلاة الفلاسفة الباطنية كالفارابي وابن سينا، وفيه تحريف جذريٌّ لحقيقة دين الإسلام ومقاصده الكلية، وتضليل للمسلم عن إرادته وقصده من إيمانه وعبادته، وتزيين للمنافسة على الحياة الدنيا، والمغالبة عليها، والهلاك في وديانها، وإخراج هذا الزيغ والضلال في قالب العمل للإسلام، والخلافة في الأرض، وإقامة دين(التركماني، ٢٠١٧ ،ص٨٤). قال الله تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا" (الكهف: ١٠٣).

ويمكننا هنا أن نستخلص فهم الشيخ عاشور وانتقاءه لهذا المبدأ الذي يمثل غاية من غايات الإسلام الكبرى التي نبه عليها في غير ما موضع كما مر في صدر المطلب، إذ ينطلق في تربيته وتأسيسه وفق هذه الغاية والانطلاق من مقصد الإسلام من تعمير الأرض وبنايتها وأن تكون العبادة دافعا للعمارة وأن يكون العمران خادما وموصلا إلى رضا الله عز وجل فلا عبادة بانعزال، ولا حضار يقول رحمه الله: منهجي مع التلاميذ التوازن في توزيع الأوقات. لا أكون سعيدا بتلميذ أو تلميذة ما لم يحقق الدرجات العالية في الدراسة ولو كان ممن يرتادون المسجد، أعتبر أن النجاح في الدراسة ثمرة التدين السليم وإلا فلا. (عاشور،١٩٩٦، ص ٩١). إن هذا الإدراك للدور الحقيقي للمسلم من المربي والداعية والعالم والفقيه هو مناط نهضة هذه الأمة وبقدر تقاصرهم في إدراك هذا الدور بقدر ما تنهزم الأمة وتتمحور حول أعدائها تستجدي منهم قوتها وحياتها، فالإنسان المسلم هو إنسان عمل وإنتاج للحياة، يعطيها كما يأخذ منها، ويعد عمارتها هدفًا من أهداف خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، كما قال تعالى على لسان سيدنا صالح لقومه: "يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ".

مجلَّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

(هود: ٦١)

ومعنى (استعمركم) أي طلب إليكم عمارتها، والأصل في الطلب هو الوجوب، والعمارة لا تنافي العبادة، بلـــ هي. إذا استقامت علىـــ أمر الله، وانضبطت بتعاليم شرعه. تصبح عبادة وقربة إلى الله تعالى. (القرضاوي، ٢٠٠١، ص ١٣٦)

لا يخفى أن الله قد جعلـــ الأرض للإنسان مهادًا وفراشًا، وجعل له فيها مستقرًا ومتاعًا إلى حين وبارلـــ فيها وقدر فيها أقواتها، وأودع فيها أسباب المعايش التي تحقق بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فما من دابة في الأرضـــ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا ورزقه موفور في هذه المعمورة. ومع ذلك فقد جرت سنة الله ألا ينال رزقه إلا بكدح وسعي، فمن جد وجد، ومن زرع حصد.

وهنا يقف الشيخ عاشور وقفة الناقد البصير المتأمل في واقع أمتنا المرير تحمله ذكرياته إلىـــ هذا المظهر الغريبـــ الذي شاع في الأمة بغرض القعود بها عن مهمتها ونهضـــ أعداؤها من جهة أخرى يشقونـــ الأرض ويستخرجونـــ كنوزها ويملكون أطرافها، يقولـــ رحمه الله:" كنت أزور بعض المساجد لأطلع على ما يفعله هؤلاء. رأيتـــ رجالا مسنين جلهم أو أغلبهم منـــ المتقاعدين. يعيشون فراغا فيـــ حياتهم بعد تسريحهم منـــ العمل في أنفاق الفسفاط. الكثير منهم من بُترت ساقه والآخر يده وهكذا.. أحداثـــ تعرضوا لها وهم في أنفاق الفسفاط حيث تنعدم أدنى وسائل الحماية. يتحلقون في المسجد ويجلس في وسطهم القطب الذيـــ يسير حركاتهم ويوجه أهازيجهم. في لحظة تراهم يتحركونـــ بقوة تعلو شفاههم صيحات التوحيد وحشرجات التقديس للأولياء. وتختفي كلمة التوحيد شيئا فشيئا حتىـــ تصبح تأوهات وتنتهي بأنات، قمة الذوبان الروحي. كنت أرنو في تحركاتهم وأتابع آهاتهم ويعتصرني الألم.. الغربـــ يبنيـــ ويشيد ويعمر، يخترع ويكتشف ويخترقـــ الأجواء والبحار بأساطيله الضخمة، ونحن نتأوه ونذرف الدموع ونذوب في حشرجات." (عاشور،١٩٩٦، ص ٨٨)

ولعل الشيخ عاشور قد تأثر رحمه الله في هذا بالشيخ محمد الغزالي رحمه الله المفكر المصريـــ الشهير والعالم الأزهري الفذ حيثـــ يقول بنفس نبرة الأسى والمرارة في عباراته عنـــ مسلمي اليوم: "إنهم مصابون بتدين الشكل، لا تدين الموضوع، ويقول: "الدين عندما يتحول إلى طقوس ومراسم يفقد قيمته، لأن الدينـــ قبل كل شيء قلب حي وضمير يقظ، وسريرة نظيفة". (الغزالي،١٩٩٧ ص٥٤) وما يذهب إليه أصحاب هذه الدعوة هو الموافق لعين ما أمر الله تعالى به حيثـــ يقول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ". (المُلك: ١٥) فمن قعد وتقاعس. بلا عذر. كان جديرًا ألا يأكل، إلا أخذ من حق غيره من المشاة العاملين. والعبادة في الإسلام لا تعيقـــ المسلم عن العمل لدنياه، وليس مطلوبا منه أن ينقطع لأدائها، بل تجد أن المسلم. كما يصوره القرآن. يكون في بيع وشراء وعمل قبل الصلاة حتىـــ إذا سمع النداء، توقف وسعى إلى ذكر الله، فإذا انتهى من الصلاة عاد من جديد يواصلـــ رحلة الكدح في الحياة،

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

منتشرًا في الأرض مبتغيًا من فضل الله، كما يصف القرآن رواد المساجد، العابدين لله تعالى بقوله: "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" (النور: ٣٧)

فالعبادة في الإسلام لا تنتج دراويشًا ولا تصنع رهبنة، بل تصنع عالما حيويا يتفاعل فيه كل مكوناته فيأتي برجال أعمال، وعلماء وصناع ومهرة، ومع ذلك لم تصرفهم دنياهم عن أخراهم، ولم يشغلهم حظ أنفسهم عن حق ربهم. وقد جاءت الأحاديث والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو إلى السعي والعمل مع استصحاب الأصل وهو الحفاظ على العبادة والقيام بحق الشرع يقول في الحديث "ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة". (رواه البخاري)، ويقول أيضا (ص): "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها". (رواه أحمد والبخاري) وجاء في حديث البخاري: "ما أكل أحد قط طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده". (رواه البخاري).

المنطلق الثالث: التجديد قرين الإنسان الحي.

التجديد في الدين أصل من أصول الحضارة الإسلامية، وقد قام علماء متعددون بمهمة التجديد في التاريخ الماضي، وإن الحضارة الغربية هي التحدي الأكبر الذي يواجه -الآن- الدين والأمة والحضارة الإسلامية. لكن الجهل والجمود اللذين قد حدقا بالأمة الإسلامية في عقودها المنصرمة، في الوقت الذي تقدم العلم الحديث فيه وتطور تطورا مذهلا جاز حد الملاحقة، جعل الأمة تفيق على حوادث، وواقعات لم تكن تخطر ببال لهم.

ويمكن أن نأخذ زراعة الأعضاء نموذجا، لرؤية الأهمية القصوى للاجتهاد والتجديد!! وهي كما يقول الشيخ القرضاوي: "من الحقول التي يتطور فيها الطب سريعا، هذا يتضمن زراعة العضو كله أو أجزاء منه، أو زراعة أنسجة من الحيوانات أو مخلوقات أخرى، ومن ثم زراعتها في جسم المريض. (حكم نقل الاعضاء، ص١٢٤)

وفيما يتعلق بالحيوانات، فقد انتزعت صمامات القلب من الخنزير والعجول، والجلد والكبد من الخنزير كذلك.

أم فيما يتعلق بالبشر فإن الأحياء منهم يمكن أن يعطوا بعض الأعضاء مثل كلية واحدة أو الجلد أو الدم دون أن يؤذوا أنفسهم، ويمكن نزع بعض الأعضاء من الأموات مثل القرنية، والجلد، القلب، الكليتين، العظام، الصمامات.

ويمكن أن يكون الغرض من زرع الأعضاء هو إنقاذ حياة، أو تحسن نوعية الحياة، أو تمكين إنسان من النظر، أو تمكين من الأكل والشرب بشكل أفضل بواسطة زرع الكلية ثم ذكر فضيلته جملة من الأسئلة ينبغي بحثها، ويجيب لنا المجتهد عنها وهي:

١- هل يجوز زرع أعضاء الحيوان، أو أجزاء

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

منها في الإنسان لإنقاذ الحياة، أو تحسين نوعيتها، حتى ولو كان الحيوان خنزيرا؟

٢- هل يوافق المسلم على نزع أعضاء من جسمه وهو حي، لاستعمالها في الزراعة في طفله، أو أحد أبويه.

٣- يوافق المسلم على نزع أعضاء من جسمه بعد موته ليستفيد منها أي إنسان.

٤- هل يجوز لمسلمين أن يتبرعوا بأجسامهم بعد الموت لاستعمالها في التشريح لتعليم الآخرين وبهذا يفيدون الإنسانية؟

٥- هل يجوز زرع من غير المسلمين للمسلمين؟ وهل يجوز نقل الدم من غير المسلمين للمسلمين.؟ (القرضاوي،٢٠٠١، ص١٠٥)

وغير ذلك من أسئلة ومن مستجدات يقذف بها العلم الحديث يوما إثر يوم، وحادثة تلو أخرى، وعلى المجتهد أن يعد العدة، ويشحذ الهمة، ويجيب على هذا برمته، ويوضح حكم الشرع فيه مشفوعا بالدليل، معتبرا في ذلك الأدلة القطعية، غير مجترئ عليها، منطلق من الثابت القاطع، باحثا في المتغير المستجد، غير مطوع النصوص لهواه، ولا معتبرا سوى خشية الله ورضاه.

المربي المجدد والفقيه المجتهد حام للشريعة حام لها من المجترئين على حماها، المتلاعبين بعمادها رغبة في أن تميد الشريعة وتضطرب ، كالأرض التي خلت من رواسيها ، ليحولوا القطعي إلى ظني ، والمحكم إلى متشابه؛ فيصير الدين عجينة لينة يشكلونها وفق أغراضهم لا كما يقول الشرع ، ويتيح لنا الاجتهاد حصنا منيعا أمام هذه الحملات المجترئة على الدين عن طريق تجديد ماءه وبث الحياة فيه بمواكبته لمتغيرات الزمن وإثباته صلاحيته التامة لكل مكان وزمان، وانفتاحه على الحياة بكل ملكاتها ليضبطها ويهذبها وفق ثوابت الشريعة، وليس الحل الأمثل أن ندفن رؤوسنا في الرمال وننكفئ على أنفسنا معرضين عما حولنا بحجة الاستمساك بالدين والخوف من الانفلات من قيود الشرع. (باجو،٢٠٠٥، ص٨٥)

ولعل هذا ما واجهه الشيخ عاشور في تربيته ودعوته حيث كان يرى أن التجديد هو عصب هذا التدين، بل لحمته وسداه، وأنه بغير التجديد سيصبح الدين أثرا بعد خبر، ولا يخفى ما للحياة في تونس ومظاهر التقدم وما أثر به الاحتلال الفرنسي في تونس من أثر في نفس المربي الداعية الذي يحاول أن يرأب الصدع بين أبناء الأمة الإسلامية وبين الحياة في ثوبها الجديد، لا سيما إذا أضفنا إلى ذلك ما خلفته تجاربه من السفر إلى فرنسا والعمل بها ومعرفة البون الشاسع بين ما عليه العرب والمسلمون وما عليه الغرب من تقدم، وليس أدل على ذلك من وصفه للمصاعب التي واجهها مع بعض الطلاب في معهد القضاء الشرعي بعُمان، حيث يقول في مذكراته: "كانت طويلة وشاقة، لم تخلُ من عقبات ومفاجآت، حافة بمواقف مثيرة للجدل. من الطبيعي أن يقع نوع من التجاذب بين مدرس عاش في المغرب الإسلامي (شمال إفريقيا) واحتك بالحضارات الغربية، بل وعايشها، وبين طلاب لا يزالون في بداية حياتهم يميلون إلى التقليد والجمود على

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

النصوص والاعتماد على الحفظ". (عاشور، ١٩٩٦، ص ١٧٩)

لم يكن هؤلاء الطلاب إلا مجرد صدى لتلك الدعوات الشائنة، التي كانت تروج لفكر غلق باب الاجتهاد في الشرع؛ زعما أن الاجتهاد يفتح على الأمة أبواب الشرور، أو أنه لا حاجة لنا اليوم للاجتهاد إذ القدماء لم يتركوا لنا شيئا إلا وقد استوعبوه مما وقع، وما لم يقع فقد افترضوا لنا ما يغني عن الاجتهاد، فلم التعلل وتجشم الصعاب ولدينا فيما انطوت عليه دفات الكتب ما يغني عن البحث، وحمل الأسفار.

ومثل هذه الدعوات كان لها أثرها في أجيال متعاقبة متغايرة ومن بين المواقف التي واجهها الشيخ عاشور في ذلك هذا الذي تعرض له في دعوته لطلابه للاجتهاد ونبذ التقليد يقول:" كانت بعض الأفكار المحفزة على الاجتهاد وطلب العلم والانعتاق من التقليد تنزل على الطلبة والطالبات كالصاعقة، فترتد عليَّ مثل الصواريخ، خاصة عندما أعطيهم نماذج من الرقي العلمي في العالم الغربي - من عالم الإباحية والكفر – هكذا يظنون. كنت أتحملها وأقول لهم: قد تكون الأفكار غريبة عنكم لكني على يقين أنكم ستعودون إليها عندما تخرجون إلى الحياة.

من ذلك: كنت أتحدث في المجال التربوي مع الطالبات عن الرياضة وأدعوهن لممارسة الرياضة بشروطها وضوابطها الشرعية مؤكدا على الجانب الأخلاقي حتى لا يُساء فهمي، فقامت في وجهي طالبة وصاحت مستنكرة لما أقول: حسبُنا الصلاة، فهي أفضل رياضة!! بنبرة متشنجة وكأني دعوتها لمحظور. فأصابني إحباط شديد وأجبتها: إن الصلاة أعلى وأسمى مما تظنين. الصلاة معراج المؤمن وروحه الذي يغذي قلبه وبدنه. الصلاة عماد الدين وعموده لا يمكن ر بطها برياضة بدنية يؤديها الإنسان في كل حال. أجبتها بلهجة لا تخلو من نبرات الغضب وعدم الرضا. (مذكرات الشيخ عاشور)

وحين يقال مثل ذلك الكلام لا ينبغي أن يظن به تقليل لتراثنا الأصيل ، فلا يمكن الاستغناء عنه ولا طرحه أرضا ، بل به يسترشد الفقيه المجتهد ، وعلى ضوئه يسير ويمضي ، ولكن ينبغي ألا نظلمه حين أبحث عن حكم الصلاة لمن خرج في بعثة إلى القمر أو المريخ مثلا بأن أعتقد أن ذلك منصوص عليه في كتبهم ، لكننا يمكن أن نفيد من ذلك التراث قدر طاقاتنا باستخراج مكنونه ، ثم الإفادة من الفكر الفقهي ، وكيفية تصورهم وتكييفهم للمسائل بما يجعل المجتهد على بصيرة من أمره ، وكذلك في اختيار الفكر الفقهي الذي قد يتفق في روحه وطبيعة الحوادث المستجدة في العصر الحديث ، أما أن نغلق الاجتهاد بهذه الدعوى فذلك مزيج من بدعة وضلالة.

ولقد كان أهل التراث أنفسهم يعون ذلك جيدا فبعض "الوقائع والأمور القديمة قد يطرأ عليها من الأحوال والأوصاف ما يغير طبيعتها، أو حجمها أو تأثيرها فلا يلائمها ما حكم به الأقدمون أو ما أفتوا به في شأنها، وهذا ما جعلهم يقررون تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ، والعرف

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

والحال، وكتب في ذلك من كتب من محققيهم في أكثر من مذهب من المذاهب المتبوعة" (عاشور،١٩٩٦، ص١٨)

تأثرت فروع العلم كثيرا بالركود الذي أصاب الأمة فكريا وعمليا، فآل إلى الاجترار والانفصال عن مجريات الأحداث، فرأينا _على سبيل المثال_ المؤلفات الأصولية _التي هي الأسس الفقهية والمنهجية المؤطرة الحاكمة لفكر الفقيه تتناسخ في تطابق لا جديد فيه ولا إبداع، إلا استثناءات محدودة، كما حدث في مؤلفات الشاطبي، والشوكاني، على سبيل المثال. وما يقال على هذا الفرع يقال على بقية فروع العلم والمعرفة العربية والإسلامية في القرون الأخيرة والعقود المنصرمة، وذلك كله نتيجة لإغلاق باب الاجتهاد، فأصاب الفقه والأصول ما أصابهما، وتعطل العقل المسلم عن الابتكار والإبداع. (الخليلي،٢٠٠٢)

ثم أفاق بعد سبات طويل، وطرق أبواب الحياة من جديد، فجاءت الدعوات لفتح باب الاجتهاد من جديد، والسعي إلى تجديد الفقه الإسلامي، وهذا يقتضي بالضرورة تجديد علم أصول الفقه ليستوعب المستجدات، ويستجيب للتحديات الكبرى التي تواجه المسلم في حياته، فردا وأمة، من النواحي الفكرية والتشريعية.

بيد أن الأطروحات النقدية الداعية إلى التجديد لم تقدم في مجملها منهجا واضحا، وبديلا متكاملا وفق الصورة المأمولة. وكان لهذا الغموض أثره في مسار حركة التجديد المنشودة. إذ تنازع القضية تياران، داع إلى التجديد بلا قيود، ورافض له جملة وتفصيلا، متهم للفريق الأول بالسعي لإلغاء أساس الفقه، وهدم أعظم منظومة تشريعية عرفتها البشرية، بنقض مستندها، وهو علم أصول الفقه. (ندوة التقنين والتجديد في الفقه الإسلامي المعاصر)

ودون إسهاب في الجدل الذي دار بين الفريقين، فإن المتأمل في الأطروحات النقدية للمنهجية الفكرية لعلوم المسلمين، يجدها تفتقر إلى منهجية واضحة وموحدة، مما عاق عن تحقيق التجديد المنشود.؛ فقد اتجهت دعوات بعض المتأثرين بالتراث الوافد إلى إلغاء الموروث جملة وتفصيلا، ودعوا إلى استبداله بالأنساق الغربية كالبنيوية والتفكيكية، والألسنية، وما إلى ذلك من ألوان الحداثة في المتناسخة التي اهتمت بتحليل النصوص، ولكنهم تجاهلوا طبيعة اللغة التي نشأت فيها تلك المفاهيم، ومنطلقاتها الفكرية، وأنها غريبة عن لغة القرآن ومفاهيم الإسلام، ونابية عن خصائص الشرع وحقائق العرف.(ندوة مناهج تطوير الفقه وتقنين الفقه بسلطنة عُمان ج٢)

وإن وجدنا فريقا آخر يدعو إلى الطرح القديم وسلوك منهج التجديد ولكن دون استيراد النمط الغربي، بل يدعو إلى استقاء الأحكام والاجتهادات من مصدر الوحي مباشرة، بدعوى أن النظر والتأمل في النص القرآني يغني –حسب تصورهم - في استلهام الأدوات المعرفية الكفيلة اللازمة لفهم نصوص الشارع، وتحديد منهجية جديدة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

للاجتهاد، وفق حاجة العصر ومقتضياته وطبيعة مشاكله وقضاياه. وهؤلاء المجددون لم يفصلوا لنا أساسيات هذا المخطط المقترح، ولم يضعوا أيدينا على منهجية واضحة لهذه العملية، فتركوا العقل المسلم في تيه، لا أمسك بالقديم المفقود، ولا أدرك الجديد الموعود. فزادوا الأمر تعقيدا حين وعدونا بالخروج من الفراغ التشريعي الكبير، فأوقعونا في الفراغ المنهجي الخطير. (الخليلي، ٢٠٠٢)

بينما كانت دعوة الغالب الأعم من المتخصصين إلى نقد النمط الراديكالي في الكتابة، وما شابها من دخيل في المسائل والأسلوب، والمصطلحات والمنهج أيضا، فأطروحتهم تمثل نقداً للنتاج اللامعرفي من داخل المنظومة المعرفية. (ندوة سلطنة عمان)

وهذه نظرة موضوعية سديدة تقتضيها ضرورة إعادة النظر في كثير من قضايا التجديد، ومن ضمن ذلك إعادة تحرير بعض المصطلحات وضبطها، وجعلها أقرب إلى الواقع بل هي دعوة إلى عودة الأمة إلى أصولها واكتشاف هويتها ، ومعرفة عقيدتها ، ومعرفة الصحيح والباطل من مسلكها ، ومعرفة الصواب والخطأ في نهجها ، إذن ليس هذا رد فعل وإنما هو عين الواجب الذي تفرضه على هذه الأمة عقيدتها ، فنحن علينا أن ننظر هل الإسلام الذي جاء به النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بل جاء به المرسلون من قبل ، هل هذا الإسلام أنزل من قبل الله سبحانه وتعالى ليكون أمراً شكلياً لا أثر له في حياة الأمة ؟ (إعادة صياغة الأمة) هذه الهموم وتلك التساؤلات هي المفسر لربط أتباعه من طلابه وتلاميذه كذلك بالحياة والانطلاق لتأسيس مدرسة مجددة حركة وفكرا، ويمكننا ان نرصد ذلك من خلال ملمحين:

الملمح الأول: قضايا التجديد بالفقه الإباضي.

ليس جديدا أن نذكر بأن الفقه الاباضي لا يختلف كثيرا عن نظيره من نتاج المدارس الفقهية الأخرى في خصائصه العامة قديما وحديثا، باعتبار وحدة المصدر، واتحاد المنهج، ووحدة الغاية والوظيفة، فمصدره هو الوحي، ومنهجه أصول الفقه وأدلته، ووظيفته أنه دليل المسلم في حياته على جميع الأصعدة والمجالات.

يعد الشيخ عاشور من فقهاء عمان المعاصرين المعتبرين في الفقه الإباضي الذين خدموا هذا المذهب وعنوا به ودافعوا عنه، فالشيخ عاشور من حيث التأليف والكتابة فقد ألف ودرس وحقق فيما يتعلق بالمذهب الإباضي، فإذا استرجعنا ثبت مؤلفاته وإنتاجه العلمي نجد أنه قد كتب كتاب" العقيدة والفقه" وكذلك " مرشد الطلاب" كما نجده قد حقق كتاب "الدليل والبرهان" وهو من الكتب المهمة في المذهب الإباضي. ولسنا هنا بصدد التأكيد على تمكن أو خدمة الشيخ لتراث الإباضية أو المذهب من حيث العلم به والإحاطة بقدر ما نرمي إلى أنه قد همه أن يفتح باب التجديد بصورة أو بأخرى في المذهب الإباضي حتى ولو بكلمة كتبها عن المذهب. وإذا استقرأنا ما عالجه الشيخ عاشور بهذا الصدد

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

نجد أنه قد تولى ذلك في مواطن كثيرة من مؤلفاته أو مشاركاته فيما يتعلق بالتجديد في المذهب الإباضي. وأهم ما يمكن أن يطالعنا به هو تبسيطه وتوضيحه للفرق بين المذهب الإباضي والمذاهب الفقهية الأخرى وكذلك ما يجمع بين المذهب الإباضي والمذاهب الأخرى وفق القواسم المشتركة التي تجمع الأمة وتجعل للمذهب الإباضي مساحة معتبرة ومحترمة بين مذاهب الأمة يتفق ويختلف وله خصائصه وسماته التي يستقل بها، وذلك في تحقيقه لكتاب الدليل والبرهان، حيث يقول: "إن الجدالات الكلامية العريضة التي قامت بين سائر المذاهب الإسلامية لم تعد مجدية للإنسان في عصرنا هذا، فقد ولى أمرها، وعلينا أن نحفظها في ذاكرة التاريخ ونولي وجهتنا إلى ما يجمع شمل الأمة ويضيق شقة الخلاف بينها. أن المذهب الإباضي يشكل جزءا من المنظومة العقيدية والفكرية الإسلامية في العلم الإسلامي، وقد وجد الإباضيون في جل المناطق الإسلامية شرقا وغربا، وأن أغلب القراء يجهلون مكوناته الفكرية والعقيدية بناء على اعتمادهم على المراجع التقليدية المعروفة، وقد آن الأوان ليُفتح المجال أمام القارئ ليطلع على المذهب من كتبه، خاصة بعد ما بدأت تخرج كتبه للمكتبات وللقراء، وبعد ما جاءت كتابات عديدة من الباحثين تزيل عن المذهب تهمة الخارجية التي ظلت تلاحق أتباعه حتى يومنا هذا، وتضعه في مصاف المذاهب الإسلامية المعتمدة. كما فتحت الجامعات مجال البحث واسعا عن الإباضية." (الوارجلاني، ٢٠٠٦، ص٦٣٣)

هذه القضية من القضايا التي أولاها الشيخ عاشور عناية خاصة في كتاباته ومحاضراته والتي سيتناولها هنا بالتفصيل الدقيق، فقد نافح عن المذهب في ميادين عدة من بينها تصديه للسيوف التي استلت من قبل التيارات السلفية التي أخذت تشنع لدى المبتدأين من طلاب العلم على المذهب الإباضي وتتهمه بأنه فرقة من فرق الخوارج.

لم تكن هذه المنافحة سوى دفاع عن الحق مغلف بغلاف من الموضوعية والحيادية، وجهدا من المقاربة المؤسسة على الإيمان بوحدة الأمة، يقول رحمه الله: «إن المذاهب الإسلامية لم يخل منهجها من جوانب إيجابية وأخرى سلبية، ومن أخطاء خاصة في عصور الجهل والتخلف، فلا ننظر إليها ولا نجعلها مقياسا لأمتنا، فكل يخطئ في اجتهاده ويصيب، ولا حرج في ذلك طالما أن المذاهب الإسلامية متفقة في الأصول من العقائد والتشريعات، وكل يؤخذ منه ويرد إلا المبعوث رحمة للعالمين صلوات الله عليه وسلامه». (عاشور، ١٩٩٦، ص١٣٥)

إن القواسم المشتركة بين المذهب الإباضي والمذاهب السنية الأربعة – وبالأخص الأشعرية منها كبيرة وواسعة وثرية، وعلى الباحثين الصادقين أن يتناولونها بمنهجية علمية؛ موضوعية وأخلاقية، سعيا لتمكين الأمة من بناء وحدتها على توسعة دائرة الوفاق وتضييق شقة الخلاف، حفاظا على الوحدة ونشرا لمبدأ التسامح، ويكون ذلك من خلال المقولة التي أطلقها العالم الإباضي، علي يحيى معمر: «المعرفة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

والتعارف والاعتراف». (الوارجلاني، ٢٠٠٦، ص٦٣٣) كذلك يجب الوقوف على مشاركاته في دعم استمرار المذهب في جزيرة جربة ومشاركاته في الندوات الداعمة لتجديد الفقه الإباضي عن التجديد لدى فقهاء عمان المعاصرين والدعوة إلى تقنين الفقه الإباضي. ولدعم مسيرة الإصلاح التي تبناها والحفاظ عليها فقد وجه دعوته إلى إخوانه الإباضين القائمين على الدعوة بجزيرة جربة للتعاون مع المالكية وعلمائهم للحفاظ على الهوية الإسلامية " ضرورة التنسيق مع إخواننا المالكية لنحمل مشعل التغيير مع بعضنا ونتصدى لحملات التشكيك والتضليل التي تجتاح بلادنا من أبناء جلدتنا الذين كانوا ضحية التثقيف التلفزي والإعلامي الهش. (عاشور،١٩٩٦، ص٣٨٩) وهذه الدعوة تأتي إكمالا لمسيرة المذهب التي حقق لها واستوعب مضمونها من خلال تحقيقه لكتاب الدليل والبرهان مؤكدا على أن المواقف المشرفة للإباضية أنهم كانوا يدا واحدة مع إخوانهم المالكية الذين يتعايشون معهم، يدا واحدة ضد الدخلاء عليهم، فلم تأمن الدولة الفاطمية الغاشمة والتي أرادت أن تبسط نفوذها على شمال إفريقية، وحاولت أن تستعمل كل وسائل القمع لإخضاع الناس لسلطتها فلم تفلح، وعلمت أن لا مقام لها في هذه الأرض فتحولت إلى مصر، ومع إصرارها على الظلم "لم يزد المالكية والإباضية إلا استماتة في الدفاع عن آرائهم ضد الفاطميين الذين أيقنوا بعد هذه الثورة أن أهل البلاد غير راغبين في حكمهم وعقيدتهم فارتحلوا إلى مصر وتركوا البلاد في أيدي أبنائها دون رجعة بعد ذلك . ويعود الفضل في ذلك كله إلى التحام الإباضية والمالكية في القيروان وما والاها ووقوفهم صفا واحدًا ضد أعدائهم العبيديين الفواطم. (المصدر السابق نفسه)

الملمح الثاني: بث روح التجديد في طلابه.

لم تنفك روح التجديد التي تشربها الشيخ عاشور عن دعوته وتربيته طلابه بل نقلها إليهم ورباهم عليها، فتجده ينبه على ذلك ويؤكد عليه حيث يقول رحمه الله:" كنت شديد الحب لطلابي، شديد التقدير لطالباتي، شديد الإعجاب بأخلاقهم، شديد الاشفاق عليهم. أحنو عليهم بعطفي وحبي، وأعطيهم من عواطفي ما يقربهم إليَّ بإخلاص وصدق.. كنت دوما أدعوهم إلى الجهاد من أجل العلم والمعرفة، والانعتاق من التقليد الأعمى. أدعوهم أن تكون لديهم الشجاعة في التعبير عن الرأي والنقد البناء والمراجعة الإيجابية بأسلوب أخلاقي. أؤمن أن الاختلاف في الرأي ثراء فكري وتنوع ثقافي، وفي الحديث: "لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما تباينُوا، فإذا تساووا، فقد هلكُوا". (الميداني، ٢٠٠١)

ولم تكن هذه الدعوات صياحا في الفضاء بل صادفت القلوب الواعية والآذان المصغية، وحسب أمرئ من دعوته أن يقيض الله له من يعيها فإذا حدث فتلك عاجل بشرى المخلصين في الدعوة أن يروا من يؤمنون لأفكارهم ويحملون رايتهم من بعدهم، وقد تهيأ ذلك للشيخ عاشور في حياته وسط هذا الخضم الهائل من الهموم

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

الدعوية حيث كان الطلاب يسترشدون به ويسمعون لدعوته إلى التجديد ويؤمنون بما يدعو إليه حتى وإن كتموا لأسباب ما وهنالك، يقول رحمه الله: "وأمام هذا كله، فلن أنسى أن عددا من الطلاب لا يُستهان به، كانوا لي آذانا صاغية وعقولا متفتحة. لقد سئموا التقليد، ورفضوا الخنوع للأفكار المُسقطة التي تكرس التبعية للآخر دون إعمال عقل. كانوا يتطلعون إلى الجديد من الأفكار ليتحرروا من التقليد. يقتنعون بالأفكار التي أطرحها في محاضراتي، خاصة منها في مادة التجديد في الفكر الإسلامي، ومادة التربية، ومادة فقه الأمر بالمعروف والنهي هن المنكر.. لكنهم لا يملكون الجرأة على الإعلان عنها والتصريح بها خشية من ردود الفعل من قبل الرموز الدينية. كنت أقول لهم دوما: غيروا أنفسكم وأعيدوا ترتيب حقائب أفكاركم باختيار وذاتية قبل أن يغيرها الواقع يوم تخوضون غمار الحياة". (عاشور،١٩٩٦، ص١٨٤)

إن كل ما عرضناه مما سبق يؤكد أن التجديد والدعوة إليه لم يكن أمرا هامشيا في دعوة الشيخ عاشور أو تربيته طلابه، بل كان أمرا بالغ الأهمية وعنوانا عريضا في حياته ورحلته، وعنصرا أساسا في شخصيته لا يمكن أن ينفك عنه أو يتخيل بدونه.

المطلب الثاني: منهاجه الدعوي والتربوي.

من خلال الاستقراء وتتبع المتاح من معلومات ومؤلفات للشيخ عاشور يمكن أن نخلص إلى أنه تميز في منهاجه بأنه كان يقوم على ثلاثة عناصر مهمة أولهما التخطيط والثاني التفاؤل والأمل والثالث: الاشتباك مع الواقع وتعزيز القيم في حل المشكلات، فقد كان يعرف كتربوي وداعية أين يضع قدمه كما كان يعرف كيف يبث في نفوس طلابه وتلامذته الأمل ويؤثر فيهم، ولا يتعجل الثمرة بل كان يؤمن أن التغير كزرع يحتاج إلى الرعاية والمثابرة وكما يزرع الفلاح في الأرض شجرا ويصبر عليه، فإن الداعية يزرع القيم ويبني العقيدة في نفوس مريديه ويصبر على ذلك كما ويتعهده بالرعاية والعناية ، ويمكن أن نستبين هذه الملامح في منهاجه الدعوي في النقاط التالية:

الملمح الأول: التخطيط سبيل النجاح.

التخطيط والمنهج في الدعوة يقصد به إعداد دراسة واضحة لعمل يخدم الدعوة الإسلامية في منطقة معينة، أو لفئة معينة، أو لمجموعة عامة، أو مشاركة في إعدادها، أو كشف خطة وإزالة الستار عن مخطط يستخدم ضد الإسلام، ورصد مظاهره ونتائجه والأدلة عليه، حيث إن كل أمة أو جماعة، أو مؤسسة في انطلاقها ونموها ونجاحها تعتمد على سلامة الأسس، والمنهج الذي تسير عليه وعلى صدق الأهداف التي تسعى إليها، ويحمل هذا كله طاقة بشرية صادقة ومخلصة (السلطان، ١٩٩٩)

من هذا المنطلق يمكننا أن نحلل سر ما وصل إليه الشيخ عاشور من تأثير في الأمة في محيطه القريب والبعيد، في الداخل والخارج، حيث يخطط بدقة لكل ما يرمي إليه ويسعى إلى

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

تحقيقه، ولعل ما يسعفنا للتدليل على هذا في تلك الدراسة ما خطه الشيخ عاشور بنفسه في رسالته التي وجهها إلى إخوانه في جربة حيث راسلوه ليسترشدو به في وضع منهج وطريقة للتدريس والتعليم والدعوة، فكتب إليهم بما يوضح رؤيته بصورة موجزة عما يجب أن يعمل في الجزيرة في المستقبل القريب والعاجل يقول:" الرؤية المستقبلية العاجلة للعمل الدعوي والتربوي في الجزيرة لا بد من التركيز على العمل النوعي وذلك بإحداث حلقات دراسية في مواضيع مختلفة تتناول أهم العلوم، وهي مجموعة حلقات توزع المواضيع الأساسية فيها على الحلقات كالتالي:

- العقيدة وأصول الدين.
- الفقه وأصوله.
- السيرة النبوية.
- التربية والفكر والقضايا المعاصرة.
- السير والتاريخ. (عاشور، ١٩٩٦، ص٣٨٩)

وهنا نلمس الشمولية في فكر الشيخ عاشور حيث يركز في تأسيس طلاب العلم على التكوين الشامل حيث يبدأ بالعقيدة وأصول الدين وهذا انطلاق من فقه المذهب الإباضي حيث ينطلق من ربط الإيمان بالعمل والانطلاق منه إلى فقه الفروع ، كذا التركيز في المنهج على أصول الفقه وهو الذي يربي في الطالب ملكة التفكير والقدرة على الاستنباط والالتزام المنهجي في تلقي الأحكام الفقهية، ومعرفة أدلتها ومدلولاتها، كذلك السيرة النبوية التي تجسد مقصود الوحي ومراده في سيرة النبي القدوة صلى الله عليه وسلم، وكذلك توجيه الدارسين الى الاحتكاك بالقضايا المعاصرة والتيارات الفكرية والقضايا الفكرية حتى لا ينعزلوا من واقعهم. كذلك يوجه الشيخ عاشور إخوانه على أن يكون معيار الكفاءة هو المناط في اختيار المعلمين يقول رحمه الله: "يتم اختيار المحاضرين أصحاب الكفاءات والمتخصصين للالتزام التام بالقيام. بالواجب والتي تتوفر فيهم الرغبة الصادقة". (المصدر السابق نفسه)

ولعلنا نلمس فيما وجه الشيخ عاشور_ من توجيهات هي عبارة عن تخطيط دعوي صميم _ البصيرة الدعوية النافذة في توجيهه محاور العمل الدعوي والبناء عليها مركزا على عنصر الشباب الجامعي تارة وأخرى يركز على المنهجية العلمية والأداة العملية حيث يوجه بإعداد دورات تكوينية مكثفة لطلابنا الجامعيين وطلاب التعليم الثانوي لمدة لا تتجاوز أربعة أيام أثناء المناسبات والعطل الرسمية. (المصدر السابق، ٣٩٠)

كما لا يفوته التوجيه بإنشاء دورات علمية خاصة للمرأة بنفس الشروط المذكورة وفي مختلف. المجالات العلمية يتداول التدريس مجموعة من الأساتذة أصحاب الخبرة في عدة موضوعات: عقدية، فكرية، تاريخية وعلمية ذات الصلة بالمناهج الدراسية، من ذلك دروس تقوية في اللغات الأجنبية، الفرنسية والإنجليزية.

وكذلك المشاركة النسائية الفاعلة حيث ينصحهم بضرورة البحث عن العنصر النسائي صاحبات الشهادات العليا للقيام بواجب

مجلَّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

التدريس، ويقوم الأساتذة من الرجال القيام بواجب التدريس في حال عدم الحصول على مدرسة مختصة في المجال الشرعي. (المصدر السابق، ص ٣٩١)

ولخدمة المذهب الإباضي فإنه ينصح باستدعاء بعض الأساتذة والدعاة الوطنيين الغيورين على دينهم من خارج الجزيرة، أصحاب الفكر الحر الذين يملكون اطلاعا على مذهب الاستقامة وكذلك استدعاء بعض الأساتذة والدعاة من عُمان ومن الجزائر -وادي ميزاب- للقيام بمحاضرات علمية والتواصل مع الشباب بشكل دوري ومنظم. يوكل اختيارهم لأصحاب الاختصاص. (المصدر السابق نفسه) وأما عن التوصية الفنية النوعية فيركز الشيخ عاشور على ضرورة بذل مزيد العناية بمراكز القرآن الكريم: حفظا وأحكاما وفقها كذلك التركيز على العمل النوعي ولا ينظر إلى الجانب الكمي عملا بتوصية الرسول صلى الله عليه وسلم: فيما روي عنْ عائشة، رضي اللَّه عنْها أنها قالتْ: سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحبُّ إلى اللَّه؟ قال: "أدْومُها وإنْ قل". وقال: "اكْلُفُوا من الأعمال ما تُطيقُون". (رواه مسلم والبخاري) وعلى هذا نوصي بالصبر الطويل ومواصلة الجهد ولو كان العدد قليلا.

كما ينبه على منهجه الذي داوم عليه في أداء الدعوة من حسن اختيار الموضوعات، ومحاولة الوصول إلى عقول أبنائنا وقلوبهم، نلامس من خلالها آلامهم وآمالهم، ونشعر عندها بجراحاتهم وتطلعاتهم مع مراعاة أهمية المحفزات المادية والجوائز التشجيعية ودورها في تحفيز الهمم وتشجيع المحاضرين على الثبات والاستمرارية. ثم يبدو الانفتاح على الآخر وتضافر الجهود والمعاونة معا من خلال توصيته بضرورة التنسيق مع الجمعيات القديمة الموجودة سابقا: جمعية المحافظة على القرآن الكريم مثلا، جمعية التنشيط الثقافي بحومة السوق، تجنبا لازدواجية العمل، وكذا ضرورة التنسيق مع إخواننا المالكية لنحمل مشعل التغيير مع بعضنا ونتصدى لحملات التشكيك والتضليل التي تجتاح بلادنا من أبناء جلدتنا الذين كانوا ضحية التثقيف التلفزي والإعلامي الهش. هذه رؤية موجزة عن عملنا في الجزيرة في المستقبل القريب والعاجل إن شاء الله (عاشور،١٩٩٦، ص ٣٩٥)

هذا التفصيل الدقيق الذي لمسناه في تلك التوصيات الإرشادية لأبناء جزيرته، يبين مدى إحاطة الشيخ عاشور وانطلاقه من التأسيس لدعوته والتخطيط لعمله الدعوي ، ولعل تجاربه التي مر بها في صدر عمره قد هيئته لذلك إذ لاقى ما لاقى من أفكار شيوعية وإلحادية وانحلالية تدق ظهر الأمة في تونس وتسعى إلى التجذر والرعرعة فيها، ولا يمكن أمام هذا التيار الهادر من الأفكار المناوئة للإسلام أن يكون الداعية يعيش خبط عشواء، ولو كان الأمر كذلك لما كان له ولا لدعوته أثر يذكر، ومما يمكن أن نذكره في هذا السياق مما دفع الشيخ عاشور الى التركيز على صناعة جيل واع لصيق الصلة بالإسلام،

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

معاناته من اليساريين أثناء تكليفه بالتدريس :" لم يتقبل الأساتذة اليساريون علاقتي بالتلاميذ وتعلقهم بأستاذهم وقد جاءهم من بلد بعيد عنهم، ولم يتقبلوا عزوفهم عنهم وهم أقرب إليهم. أكثر الأساتذة اليساريين من مناطق قريبة من الريف، بدأوا حملة من التشكيك في قيم الإسلام ومبادئه والترويج للفكر اليساري من مدخل خدمة الطبقة البروليتارية الكادحة، غير أني كنت يقظا لمخططاتهم، أتجنب الصدام معهم وأرد على أفكارهم بهدوء. كانت العلاقة أكبر من علاقة التلميذ بالأستاذ، بل ارتقت إلى علاقة الابن بأبيه. ترجم التلاميذ ذلك في حضورهم المكثف للنادي الإسلامي والزيارات المتتالية إلى بيتي والتعرف على زوجتي. وبعد مغادرة الريف تواصل التلاميذ والتلميذات معي عبر الرسائل البريدية تعبيرا منهم عن الوفاء والتقدير". (عاشور،١٩٩٦، ص٩٢)

تحرص كل أمة على بناء طاقتها البشرية، وتنمية مواهبها والمحافظة على مكتسباتها، وبغير ذلك يتعثر النمو ويضطرب، أو يضمر ويضعف أو يتوقف ويتعطل، أو ينحسر ويتراجع ويتخلف، وخوفًا من هذا فإنه يجب على الدعاة التنسيق والتخطيط فيما بينهم "فالدعاة إلى الإسلام في أيديهم كتاب واحد بلفظه وحرفه ورسمه، وليس عليهم سوى الأمانة في البلاغ عن الله عز وجل مما في القرآن الكريم من الآيات والذكر الحكيم، ومما في السنة النبوية المطهرة التي تعتبر بيانا لكتاب الله الكريم "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". (النحل: ٤٤)

وقد طبق ذلك الشيخ عاشور في دعوته وتبليغ الرسالة التي حملها كداع إلى الله تعالى وقد كان فطنا إلى هذا يقول: "بدأ النشاط التوعوي فكرا وتربية في المساجد بالحلقات التكوينية والدروس الوعظية، كان التركيز فيها على فئة الشباب وقد كنت أحدهم إذ كنت آنذاك لم أتجاوز منتصف العقد الثالث من عمري. كانت الاستجابة كبيرة والنجاح غير متوقع بفضل الله تعالى. أما في المعهد فقد تعلق بي التلاميذ والتلميذات وتم إنشاء النادي الإسلامي ضمن أنشطة مساء الجمعة، لقي الإقبال الشديد وامتلأت مساحة المكان". (عاشور، ١٩٩٦، ص ٨٩) هنا يمكننا أن نستخلص الحقيقة القابعة في وجدان الشيخ عاشور وهي إيمانه العميق بأن العمل العظيم الخطير لا بد له من تخطيط يناسب عظمته وخطورته فالتخطيط أمر ضروري لنجاح كل مشروع، والعمل إذا لم ينفذ حسب خطة موضوعة واضحة المعالم والأهداف، مستوفية كل الإمكانيات، قل إن يكتب له النجاح.

وهل هناك أعظم خطرا من العمل الدعوي وربط الناس بالإسلام؟؟

إن الدعوة إلى الدين الإسلامي العالمي من أعظم الأمور خطرا وأجلها قدرا، وبخاصة إذا كانت الظروف المحيطة بها ظروفا متغيرة حسب تغاير الميدان، وإذا كانت في محيط يختلف في لغته عن لغة الداعين، ويختلف في عاداته وسائر أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. (مذكرات الشيخ عاشور)

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

ولذلك لا غرو أن نجد الشيخ عاشور يخطط ويلتمس القيم الداعمة للتخطيط التي تعمل معا جنبا إلى جنب لتحقيق أهدافه ومراميه، ولذا لا نعجب ان نجده يسطر بعضا من القيم المتمثلة في شعارات سهلة العبارة دقيقة المعنى منتقاة من درر الأدب أو التراث أو التجارب الدعوية، فقد كان من شعاراته التي يرفعها: "اغرسوا ولا تقطعوا.. عمروا ولا تد مروا.. فكروا مليا قبل أن تُنجزوا... لا تُطلقوا الأحكام من النظرة الأولى، بل تمهلوا ودققوا، فالمؤمن وقاف والمنافق وثّاب.. كن مؤمنا ذكيا رصينا.. لا تحرك رجلا حتى تثبت أخرى ولا تبن على الرمال المتحركة، بل اجعل لبنائك أرضا صلبة وقاعدة متينة". (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه) وعلى ضوء ما سبق نرى أن الشيخ عاشور قد سار وفق منهج مدعوم من عمل الرسول وأصحابه في نشر الدعوة وقد استطاع أن يرسم منهاجا حاول به أن يرسم الطريق الواضح للدعوة الإسلامية، وجله من وحي قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ". (النحل، ١٢٥)

ومن المآخذ على بعض الدعاة اليوم أنهم لا يسيرون في دعوتهم وفق مخطط منهجي مدروس يعتمد المراحل التي يبنى بعضا فوق بعض. يقول د/ محمد لطفي الصباغ: "إن العصر الذي نعيش فيه عصر تخطيط، فأي عمل نريد أن نواجه" (السلطان، ١٩٩٩، ص ٢٢١)

إن أعداء الإسلام يحاربون ديننا وفق مخطط بذلت له أعظم الجهود في رسمه، واستفاد من كل معطيات الحضارة في وضعه، فلا ينبغي أن تكون حركة الدعاة إلى الله حركة خبط عشواء لا يعرف الواحد منهم ماذا يريد أن يحققه اليوم، وماذا يريد أن يحققه غدًا؛ لأن من السنن الكونية أن التنظيم يغلب الفوضى، إن الذي يسير وفق مخطط لا يتردد في مسيرته، ولا يشعر بالتعب ولا يتعثر في المسير ولا يعبأ بما يعترضه من عواء العاوين، ولا يترك للأحداث الطارئة أن تحرفه عن طريقه، ولا يترك للافتراضات والاحتمالات مجالات لتضيع عليه هدفه الذي يرمي إليه.

الملمح الثاني: مفتاح الحياة صناعة الأمل في الله.

تمتاز الأمة الإسلامية بأنها مشتملة في بنيتها بما يمكن أن نسميه (القوة الذاتية والحصانة الطبيعية) هذه القوة وتلك الحصانة هي المولدة للأمل الذي يمكنها دوما من التغلب على نتائج الهزيمة وآثارها البعيدة، ولا يغرنّ أحدا ما تتعرض له من أزمات حادة، لا يمكن أن تقبل الهزيمة تحت وطئة الحلول الجاهزة التي تصنعها الأيدي الغريبة، وسَلْبِيَّتُها هذه إزاء كل تجربة دخيلة، ووسيلة مغلوطة، دليل على توافر تلك الحصانة في بنيتها الداخلية وأنها قادرة دوما على الاستمرار والبقاء.

كما أن هذه الأمة أمة عقيدة وأملٌ لا يتسلل اليأس إليها، إذ طبيعتها الأصيلة قائمة على عقيدة مبناها التوحيد الخالص الذي حررها من الخضوع

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

لغير الله، وأنقذها من أغلال الطاغوت، وطهرها من أدران الجاهلية ونقلها من حضيض التمزق والتخلف والفساد إلى ذروة الوحدة والتقدم والاستقامة. وهي أمة نظام كامل شامل شرعه الله للناس كافة رصيد إيمان لا يَنْفَدُ، ومصدر قوة لا تَضْعُفُ، ومنهاج حق وعدل، لا يهادن باطلًا، أو يرضى بظلم، المسلم شديد التمسك بالإسلام، لا يفرط في إسلامه مهما كانت الظروف ومهما كانت الصعوبات والتحديات، والابتلاء من الله تعالى في خَلْقِه، والمؤمنون في سَالفِ العصور مروا بظروف صعبة، ونَجد في كتاب الله تعالى ما يدُل على أن رسل الله تعالى الذين هم أرسخ الناس قدَماً في الإيمان وأقواهم عزيمة شَارَفُوا اليأس من هول ما لحقهم(فتاوى العقيدة الخليلي) وفي ذلك يقول الله تعالى: "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (المائدة، ١٦)

إن سر هذه المناعة العجيبة التي حيّرت أعداءها، وأَوْغَرَتْ صدروهم بالحقد، وحملتهم على العدوان المستمر في موجات غزوٍ ضارية متلاحقة يعود إلى هذه الحقيقة البسيطة الرائعةَ العقيدة، العقيدة التي ترتفع بالأمة عن مستوَ الغرور والاستعلاء إذا انتصرت، والخنوع والاستسلام إذا انهزمت.. "العقيدة التي تغرس في قلوب أبنائها أن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء، فإذا حلّت بها الهزيمة في معركةٍ قوَّمَتْ بميزان عقيدتها ما حلَّ بها، فعرفَتْ عوامل هزيمتها وأسباب نكبتها، وكان ذلك لها درسًا نافعًا في مستقبل حياتها". (الخطيب،٢٠٠٤، ص٧٣٣)

العقيدة التي هي أعز على أبناء هذه الأمة من أرواحهم وأبنائهم وأموالهم؛ لأنهم يضحّون بهذا كله ولا يفرّطُون بعقيدتهم مصدر كرامتهم وعزتهم. (زيدان،٢٠٠١، ص ٣٦٧)

وكلما كان الداعية على وعي بهذا المبدأ ويؤمن به فإنه ينطلق بأتباعه إلى قمة النجاح، والقدرة على المقاومة وعدم الاستسلام، وكلما كان الداعية مهتزَ القدمين، مرتعشَ اليدين كان هشاً ضعيفا، وسرعان ما يدبّ اليأس إلى قلبه؛ ثم يقع فريسةً هو ومن يدعوهم بين أنياب هذا الوحش الكاسر الذي يكسر الأمم ويبيدها، فاليأس آفةُ الصبر الكبرى، لأنها تطفئ سراج الأمل، فيترك الداعية العمل ويأس من المدعوين، ويضيّع النّاس، وتخلدُ الأمةُ إلى الكسل. ولقد أسس الاحتلال للبلدان الإسلامية والعربية نصره دوماً على أساس من اليأس الذي يبثّه في روع الأمة المحتلة، فتستسلم له وتقع ليّنة طيّعة في يده يشكلّها وفقا لرغباته وإرادته مستعبدا لها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وكما يقول مالك بن نبي: "لقد شعر دينيه وهو رجل الفن، أي رجل الإلهام والبصيرة، أن المؤامرة تحاك بالتحديد دائما ضد القوة المسعفة؛ والتي تحول دون سقوط هذا الشعب في ظلمة اليأس. وقد بدا له أن الاستعمار لديه هو أيضا ذلك الحدس، الذي يتصل بواقع هذا الشعب، ولذا فسائر مخططاته الموجهّة تصبُّ دائما ضد مفصل صمود الروح الجزائرية (الإسلام)؛ فإذا ما سقط هذا المفصل فلن يكون

مجلّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

هنالك ما يعوق عملـــ الاستعمار. وهكذا يصبح الشعب لا قبل له بدفع مؤثراتـــ الاستعمار، أو البرء منها." (ابن نبي، ٢٠٠٥، ص٧٤)

هذه القوة المسعفة التي يمكن أن تكون من الفنانين والمثقفين والدعاة والمفكرين، كما يقول مالك بن نبي إذا دبـــ اليأس إليهم كما يخطط الاستعمار فقد أصابـــ الأمة في روحها، ولهذا حرص القرآن الكريم والسنّة المطهرّة على غرس بذور الأمل في نفوســـ المؤمنين. قال تعالى: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (آل عمران، ١٣٩)

منـــ هذه العقيدة انطلقـــ الشيخ عاشور أمام أسوارٍ عاتيةٍ لا يعرف اليأســـ إليه طريقاً في مواجهة التآكل الإسلامي الذي حدث لصالح الفكر اليساري، وتحتـــ رايات البورقيبين وسماسرة الاستعمار، يقولـــ:" أحب أن أكون متفائلا، ويتملّكني الشعور بالتفاؤلـــ أينما كنت وحيثما حللت، أبدو بشوش الوجه، الابتسامة لا تفارقني، بهذا عُرفت عند الناس، ولكن.. في الوقت نفسه يستكنّ في أعماقي شعور بالألم والإحباط، طال الغياب فما من مخرج؟ لماذا؟؟! قد أبحث عن مبرراتٍ لهذا الشعور، لكنّها لا تقنعني.. لم يبقَ لي إلا التطلّع في الأفق لعلّه يأتِ بالجديد. أبحث على صفحات الجرائد عن أخبارٍ من بلادي تبعث لديّ الأمل أو تفتح لي نافذةً من النورِ، وأتابع القنوات الفضائية الإخبارية عساها أن تكشف عن بعض ما في كواليس السياسة وتحفر في أعماق القصور الحاكمة لعلها تنبؤنا عنـــ قرب انهيار الطاغوت وانبثاق فجرٍ جديد. ويبقى في النفس بصيصٌ من الأمل لا تنطفئ جذوته، قد تذبل أحياناً ولكنها لا تنطفئ.. أتطلّع إلى الشفقـــ من بين ثنايا الظلمة لعل الشمس تبزغ منـــ جديد.. أتطلع إلـــ أملي الوحيد.. إلى الله القدير الذي يملؤو قلبي بالثقة في الحياة وفي مستقبل مجيد كل العوامل المحيطة داخليا وخارجيا تنبؤ بطول البلاء وتواصل البغي وبقاء الأشقياء. كل الحسابات البشرية لا تعطي أملاً ولا تبشر بانفراج. هذه حساباتـــ الإنسان ولله حسابات أخرى وقدر محتوم لا يرد (مذكرات عاشور)

إنّ في مثل هذه العقيدة لدى الشيخ عاشور وأقرانه من الدعاة ما يفل الحديد، وتتحطم على صخرته آمال الطامعين الذينـــ قد يخالون -ولو جاءوا بثياب الأصدقاء- أنَّ المحنة فرصة مواتية لزعزعة ثقة الأمة بشخصيتها، ونشر ضبابـــ اليأس في نفوســـ أبنائها، وزرع بذور الشلـــ في قدرتها على الحياة، واستئناف السير منـــ جديد دون سقوط أو تعثر، ولكنّهم في ذلك واهمون وإن أَصْغَتْ إليهم بعضُ الأسماع، ووقعت في شركهم بعض العقول، ولقيتـــ محاولاتهم تلك صدىً واستهواءً في بعض الاتجاهاتـــ والأفكار. ومنشأ الوهم عند هؤلاء ومَنْ تَابَعَهُم من مَرْضَ القلوب أنهم لم يعرفوا طبيعة هذه الأمة التي تستعصي على الذوبان، وتأبى -في أشد الظروف قسوةً- أن ترضى بالدنيَّة والذلِ والاستسلام، وقد مرتـــ بها -في تاريخها الطويل- أيامٌ عصيبةٌ ونكباتٌ شتّى لو أصابت غيرها لقضت عليها، وأبادتها وجعلتها أثرًا بعد عَيْن. (زيدان، ٢٠٠١، ص٣٧٧)

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

إن الداعية الذي يستلهم مسيرة النبي (ص) وسلم لا يجد موطناً لليأس في دعوته فقد ظلّ يدعو ويقابل بالرفضِ ويعرّض نفسه الكريمة على القبائل قبيلة قبيلة ممن وافقت الموسم في مكة، قبل الهجرة بنحو ثلاثِ سنواتٍ، ولم يستجب له منهم أحدا، لم ييأس (ص) إلى أن لقي ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منى، وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم رسول الله (ص) فدعاهم إلى الله، وقرأ عليم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا، ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة، وذَكروا لهم ما قال رسول الله (ص) "ودَعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلّا فيها ذكر رسول الله (ص) " فرسول الله (ص) لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلِقون رءوسهم بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة، ولم يقل في نفسه الكريمة: أيّ أملٍ في هؤلاء المشغولين بحلق رؤوسهم، ثم إنَّ أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأُوائل إلى الإسلام في المدينة، فعلى الداعي أن يقتدي بهدي رسول الله (ص) (عاشور،٢٠٠٨، ص٨٥)

الملمح الثالث: تعزيز القيم الأخلاقية وتغذيتها بالرافد الديني لعلاج المشكلات.

- تعزيز القيم الأخلاقية وتغذيتها بالرافد الديني لعلاج المشكلات.

١.. تعريف القيم الأخلاقية

تعرف القيم الأخلاقية على أنها المعايير والمبادئ التي تحدد السلوك الصالح والجيد للأفراد والمجتمع. تعتبر قيماً قائمة على العدل والحق والشرف والاحترام وتعزيز التعاون والأخلاق والأمانة. فهي تحدد الأحكام والقرارات الصائبة التي يجب اتخاذها في المواقف المختلفة وفي تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض. (أبو النصر، ٢٠٢٠)

١,٢. أهمية القيم الأخلاقية في المجتمع

تتمتع القيم الأخلاقية بأهمية كبيرة في المجتمع، حيث تساهم في بناء نسيج اجتماعي قوي ومستدام، فهي تساعد في تعزيز العدل والمساواة والتعاون بين الأفراد، وتعمل على إقامة علاقات إيجابية ومتوازنة بين الأفراد والمجتمع بالإضافة إلى ذلك، تساهم القيم الأخلاقية في بناء مجتمع معتدل ومتسامح ومتقبل، حيث يتعايش الناس بسلام واحترام بعضهم البعض سواء كانوا يشتركون في القيم الدينية نفسها أو لا. (عبد المولى،٢٠٢٢، ص،٥-٣)

١,٣. تأثير القيم الأخلاقية على السلوك الإنساني

تؤثر القيم الأخلاقية بشكل كبير على السلوك الإنساني، حيث تسهم في تنظيم وتوجيه تصرفات الأفراد وتحفزهم على القيام بالأعمال الصالحة والمعتدلة. فعندما يكون للأفراد قيم أخلاقية قوية، فإنهم يعبّرون عن الاحترام والتسامح والمرونة والعدالة في تعاملاتهم وبالتالي، يتمتّعون بسمات إيجابية تؤثر في العلاقات الاجتماعية وتحقق الانسجام والاستقرار في المجتمع بشكلٍ

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

عام (ويكبيديا).

٢. تغذية القيم الأخلاقية بالرافد الديني

يلعب الرافد الديني دورًا مهمًا في تغذية القيم الأخلاقية، حيث يعدّ الدين مصدرًا رئيساً لهذه القيم، حيث يقوم الدين بتوفير التوجيه والمبادئ الأخلاقية للأفراد من خلال النصوص الدينية والتعاليم، كما يفتح الدين الباب أمام تعلم الأخلاق والقيم الذاتية مثل الإيثار والصدق والعدل والصبر، وتشجيع الأفراد على الممارسة المستمرة لتلك القيم في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى ذلك، يشجع الدين على الاهتمام بالآخرين والقيام بالأعمال الخيرية ومساعدة المحتاجين، مما يعزز القيم الأخلاقية في المجتمع ويؤثر إيجابًا على السلوك الفردي والجماعي. (الطنطاوي، ٢٠٢٢)

ولا غرو أن يكون ذلك الاعتقاد منطلقا للداعين والفقهاء والمصلحين في إصلاح الحياة ومراعاة الأحكام وإشاعة النفع ودفع الضرر عن الخلق، وفي هذا يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: ولا ريب أن الدينونة الصادقة بالإسلام والمحافظة على قيامه تؤدي إلى حسن المحافظة على جميع الحياة ومرافق ومراعاة حق كل من له حق وما له الحق من صامت ناطق وحي وميت وبعيد وقريب وبغض وحبيب إذ الإسلام صورة ومعنى وجوه وشكلا يغرس في النفس البشرية ويعلق فيه وكأنها شعور بالمسؤولية أمام الله تعالى عن كل ما يصدر عنها فهو يقوم أولا على الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وحده له الأمر لأنه منشئ الوجود ومبدعه وقد أفادت النصوص الشرعية بأن الإنسان لم يخلق هملا ولن يترك سدىً وإنما خُلق ليطّلع بأمانة كبرى ويتحمل مسؤولية عظيمة ثقلت على السماوات والأرض وهي مسؤولية الخلافة في الأرض. (الخليلي، ٢٠٠٤، ص٧)

وإذ نجد هذه الميزة بارزة في جهود الشيخ عاشور في أكثر من محور من محاور العمل الدعوي والفكري له، حيث نجد ذلك بارزا في كلامه عن مشكلات الأسرة وطرحه رؤية لحلها وفق القيم والمثل الدينية الإسلامية، وكذلك في مقارناته بين المذهب الإباضي وغيرها من المذاهب، وقضية اللامذهبية والتسامح وعدم التعصب ، إذ يرجع ذلك كله إلى افتقاد قيمة الموضوعية والحياد في البحث الحكم على الأشياء، فلا يمكننا أن نجزم بأن هذه خاصية للمذهب الإباضي في ربط القيم بالإصلاح المجتمعي والدعوي، ولكنها ميزة للأمة بأسرها على اختلاف طوائفها ومبادئها، إلا أنها تبدو بارزة لدى فقهاء المذهب الإباضي إذ يربط فقهاؤه وعلماؤه دوما روافدهم بمعين القرآن والسنة الشريفة بصورة مباشرة وطريق قصيرة.

٢,١. دور الدين في تعزيز القيم الأخلاقية

يؤدي الدين دورًا حيويًا في تعزيز القيم الأخلاقية في المجتمعات، حيث يزوّد الأفراد بتوجيهات أخلاقية قاعدية، كما يعتبر الدين مصدرًا رئيساً للقيم الأخلاقية ويعلّم الأفراد كيفية التصرف بشكل صحيح وفقًا للقواعد والمبادئ الأخلاقية. ومن خلال تعليم القيم مثل الشجاعة والصدق والرحمة والتسامح، يعزز

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

الدين السّمات الأخلاقية الحسنة في الأفراد ويحثهم على القيام بالأعمال الصالحة، ويشجع الدين أيضًا على بناء العلاقات الطيبة والعدل في التعامل مع الآخرين، وبالتالي يؤدي دورًا فعّالًا في بناء مجتمع أخلاقي قوي. (السابق، ص ٧ وما بعدها)

٣. تعزيز القيم الأخلاقية

تتمثل تعزيز القيم الأخلاقية في تعزيز القدرات الإنسانية على اتخاذ القرارات الصائبة وتقديم التصرفات الصالحة والمعتدلة، ويتعلق ذلك بتعزيز القيم التي تعزز الصفات الأخلاقية مثل الصدق والعدالة والرحمة والتسامح والشجاعة والكرم والصبر وغيرها، ويتم التركيز على تعزيز هذه القيم عن طريق التعليم والتوعية وتطبيقها في الحياة اليومية. وقد كان الشيخ عاشور منطلِقاً في دعوته من تعزيز هذه القيم وتعزيزها وتغذيتها لدى طلابه ومحبّيه، كما كان ينقدها إذا غابت ولم يجد أثرها ففي نقده مثلا لمشكلات الأسرة المعاصرة نجده يركز على أن القيم الركيزة في بناء الأسرة التي تنبع من الكتاب والسنّة بفقدانها يختلّ ميزان الأسرة وتبقى في مهبّ الريح لا تصمد ولا تكمِل المسيرة، ولم يكن نقده نقد المتحامل بل نقد المنصف الذي نستشف من خلاله إدراكه لهذه القيم وتوظيفه لها، يقول :» إن القارئ في كتاب الله العزيز والمطّلع على سيرة المصطفى الكريم (ص) يجد أن الإسلام أقام الأسرة على أسس من التكامل والترابط وعلى جملة من مبادئ النُبلِ والأخلاق، ولا غروَ فالبيت مثابة للزوجين وسكن لهما. « (عاشور، ٢٠٠٦، ص ٩٠)

الاستنتاجات:

١- يؤدي الشيخ عاشور دورًا هامًا ومحوريًا في نشر وتعزيز الدعوة الإسلامية. لا سيما في سلطنة عمان وتونس وفرنسا، حيث عمل الشيخ عاشور على توجيه الناس نحو المعرفة الصحيحة للإسلام وتعليمهم قيمه ومبادئه.

٢- وقد كان الشيخ عاشور منطلِقاً في دعوته من تعزيز هذه القيم وتعزيزها وتغذيتها لدى طلابه ومحبّيه، كما كان ينقدها إذا غابت ولم يجد أثرها ففي نقده مثلا لمشكلات الأسرة المعاصرة نجده يركز على أن القيم الركيزة في بناء الأسرة التي تنبع من الكتاب والسنّة بفقدانها يختلّ ميزان الأسرة.

٣- يؤدي الدين دورًا حيويًا في تعزيز القيم الأخلاقية في المجتمعات، حيث يزوّد الأفراد بتوجيهات أخلاقية قاعدية، كما يعتبر الدين مصدرًا رئيساً للقيم الأخلاقية ويعلّم الأفراد كيفية التصرف بشكل صحيح وفقًا للقواعد والمبادئ الأخلاقية.

٤- طبق الشيخ عاشور في دعوته وتبليغ الرسالة التي حملها كداع إلى الله تعالى وقد كان فطنا إلى هذا يقول: "بدأ النشاط التوعوي فكرا وتربية في المساجد بالحلقات التكوينية والدروس الوعظية."

٥- دفع الشيخ عاشور الى التركيز على صناعة

مجلّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات اجتماعية في دار الكتب والوثائق ٦٩٤ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6384
Info@baytalhikma.iq

جيل واع لصيق الصلة بالإسلام، معاناته من اليساريين أثناء تكليفه بالتدريس: "لم يتقبل الأساتذة اليساريون علاقتي بالتلاميذ وتعلقهم بأستاذهم وقد جاءهم من بلد بعيد عنهم، ولم يتقبلوا عزوفهم عنهم وهم أقرب إليهم.

المصادر:

(١) ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩). مقاييس اللغة. (تح عبد السلام محمد هارون، ط٢). بيروت: دار الجيل.

(٢) أبو النصر، مدحت محمد محمود. (٢٠٢٠). القيم والأخلاقيات المهنية في الخدمة الاجتماعية بالقاهرة. (١)، ١-٢٥. القاهرة: المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة.

(٣) باجو، مصطفى بن صالح (٢٠٠٥). منهج الاجتهاد عند الإباضية. مسقط: مكتبة الجيل الواعد.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. (ط١، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم ٢٠٧٢). بيروت: دار ابن كثير.

(٥) بني نبي، مالك بن الحاج. (٢٠٠٥). من أجل التغيير. (ط١) مصر: دار الفكر.

(٦) التركماني، الشيخ عبد الحق (٢٠١٧). مقدمة في تفسير الإسلام. بريطانيا، ليستر: مركز دراسات تفسير الإسلام.

(٧) حكم نقل الأعضاء بين الأحياء: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون. جامعة الأزهر، ٣٥ (٤٣)، ٤٨٤٣-٤٨٩٧.

(٨) الخطيب، عمر عودة. (٢٠٠٤). لمحات في الثقافة الإسلامية. (ط١٥). سوريا: مؤسسة الرسالة للنشر.

(٩) الخليلي، أحمد بن حمد (٢٠٢٠). الفتاوي: العقيدة. (ط١، ج٢). مسقط: الكلمة الطيبة.

(١٠) الخليلي، أحمد بن حمد. (٢٠٠٢). إعادة صياغة الأمة. مسجد التوبة البريمي. منشور على موقع جريدة الرؤية العمانية. أخذ بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٢٥. https://alroya.om/post/١

(١١) الخليلي، أحمد بن حمد. (٢٠١٧). القيم الإسلامية دورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية. (ط٢). مسقط: دار الكلمة الطيبة للنشر.

(١٢) زيدان، عبد الكريم (٢٠٠١). أصول الدعوة. (ط٩). سوريا: مؤسسة الرسالة للنشر.

(١٣) السلطان، ناجي بن دايل (١٩٩٩). دليل الداعية إلى الله تعالى. (ط ١). السعودية، مكة: مكتبة دار طيبة الخضراء.

(١٤) الصباغ، محمد بن لطفي. (١٩٩٠). خواطر في الدعوة إلى الله. (ط١). سوريا: المكتب

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

الإسلامي للطباعة والنشر.

(١٥) الطنطاوي، محمد علي (٢٠٢٢). أهمية القيم وأثرها في تغيير المجتمعات. (٢٥)، ٢١. مجلة الربيئة.

(١٦) عبد المولى، مروة جبرو عبد الرحمن. (٢٠٢٢). دور الأنشطة الطلابية في تعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب كلية التربية جامعة أسوان. مجلة البحث في التربية وعلم النفس، ٣٧ (ع٤)، ٥٣٩-٦١٠.

(١٧) الغزالي، محمد (١٩٩٧). فقه السيرة. الطبعة ١. القاهرة: دار الشروق.

(١٨) عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٦). تفسير التحرير والتنوير. (ط١). تونس: الدار التونسية للنشر.

(١٩) الغزالي، محمد (٢٠٠٥). المحاور الخمسة للقرآن الكريم. (ط ٥). القاهرة: دار نهضة مصر.

(٢٠) القرضاوي، يوسف (٢٠٠١). مدخل لمعرفة الإسلام مقوماته. خصائصه. أهدافه. مصادره. (ط ٣). القاهرة: مكتبة وهبة القاهرة.

(٢١) القرضاوي، يوسف. (١٩٩٦). الاجتهاد في الشريعة الإسلامية. مسقط: مكتبة الجيل الواعد.

(٢٢) قوجة، صلاح الدين بن رجب. الشيخ عاشور بن كسكاس والعمل الجمعياتي، جمعية اللقاء الثقافي أنموذجًا: مداخلة ضمن فعاليات مركز الندوة الثقافي ببهلاء. ص٥.

(٢٣) كسكاس، عاشور بن يوسف. (٢٠٠٥). الأسرة: رؤية نقدية وتحليلية. (ط١). مسقط: مكتبة الجيل الواعد.

(٢٤) كسكاس، عاشور بن يوسف. (٢٠٠٨). شذا من السيرة. مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المديرية العامة للوضع والإرشاد، دائرة البحوث الدينية.

(٢٥) مذكرات الشيخ عاشور نسخة لدى الباحث مخطوط غير منشور.

(٢٦) مستفاد من ويكيبيديا نقلا عن Rachels، James؛ Rachels، Stuart (١٩٨٦). The Elements of Moral Philosophy (ط. ٧). McGraw-Hill Education (نُشِر في ٢٠١١). ISBN:٩٧٨٠٠٧٨٠٣٨٢٤٢. مؤرشف من الأصل في ٢٠٢١-٠٦-١٠. اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢١-٠٦-١٠.

(٢٧) مقابلة مع هلال بن علي الكندي، الثلاثاء ٦ أغسطس ٢٠٢٤ في منزله بمحافظة مسقط بمنطقة العامرات.

(٢٨) مناهج التجديد لدى فقهاء عمان المعاصرين، وأثره في التقنين الفقهي ضمن بحوث ندوة التقنين والتجديد في الفقه

الإسلامي المعاصر، منشور بمجلة الحياة، (٢٩)٢ الذي تطبعه مكتبة التراث بعمان، ومنشور بموقع: https://tourath.org

(٢٩) الميداني، أحمد بن محمد. (٢٠٠١). مجمع الأمثال (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١). بيروت: دار المعرفة.

(٣٠) هلال، محمد هلال الصادق (٢٠٢٠). التجارب الدعوية، مفهومها - أنواعها – أهميتها – وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر. بحث منشور بالمجلة العلمية جامعة الأزهر الشريف، العدد (١) المجلد (٣٢)، ص١١.

(٣١) الوارجلاني، يوسف إبراهيم. (٢٠٠٦). الدليل والبرهان. (تح: سالم بن حمد الحارثي، وتقديم: خميس بن راشد بن خميس العدوي). مسقط: وزارة التراث والثقافة.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Social Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(694)1999
ISSN.2223-6384
Info@baytalhikma.iq

The reformist and advocacy aspect of Sheikh Ashour) the specificity of his educational and reformist experience)

SAIYA JUMA HARIB ALSIYBI PhD
researcher at Mohammed V University ,Rabat ,Kingdom of Morocco
Sariyaalsiyabi8@gmail.com

Abstract:

Some personalities who pass through this universe leave fingerprints that remain as long as humanity remains, and they become an example to be emulated. Among these personalities is Sheikh Ashour bin Youssef Kaskas, the subject of our study. Perhaps the ignorance of some about this personality is what prompted researchers to address it and reveal his missionary paths and how it contributed to enriching the history of the mission with facts The lack of knowledge about Sheikh Ashour's life prompted scholars to research and investigate, and the problem arose: What are the scientific stages that the Sheikh progressed through in his life? What is the scientific output that he left behind those scholars researched to investigate scientific facts? The aim of the research: To investigate the educational and advocacy path of Sheikh Ashour according to his starting points and goals and to define his advocacy facts The research methodology: The lack of knowledge about Sheikh Ashour's life prompted scholars to research and investigate, and the problem arose: What are the scientific stages that the Sheikh progressed through in his life? What is the scientific output that he left behind that scholars researched to investigate scientific facts ?The aim of the research: To investigate the educational and advocacy path of Sheikh Ashour according to his starting points and goals and to define his advocacy facts .The research methodology .Keywords:)Ashur ,Oman ,Tunisia ,education ,scientific output).